واجبنا الذى ننساه دائما

للأستاذ محمد نبيب البوهى

فى صباح أحد الأيام استوقفنى طفل لى عمره ست أعوام .. وكنت أهم بمبارحة الدار الى عملى وصاح : بابا ، علمنى سورة الفاتحة فانى أريد أن أقرأها لروح ستى التى ماتت ..

كانت الفرصة الطيبة لتعليم ابنى فاتحة كتاب الله مواتية وكانت نفسه فى تلك اللحظات متفتحة لأن شيئا حبيبا الى نفسه كان سيتأتى من وراء هذه المعرفة .. ذلك شعوره الساذج الجميل بأنه سيهدى الى جـــدته التى يحبها كل الحب شيئا يعرف انها تسر له ..

ولكنى أضعت هذه الفرصة لأننى كنت عجلا أريد أن أنصرف الى عملى وساعدتنى أم الطفل على هذا الاهمال لانها رأت أن فى الايام متسعا بدلا من تعطيل نفسى عن العمل بضع دقائق ..

فهل حقا كنت سأتعطل عن عملى .. ؟

لا .. فقد كان الوقت مبكرا ولقد استوقفنى فى الطريق صديق ورحنا نثرثر فى أحاديث تافهة نصف ساعة .

وعدت الى الطفل بعد أيام وهو يهم بمبارحة الدار وفى يده الكرة ليلهو فى الطريق وقلت له : دع الكرة الآن وتعال أعلمك سورة الفاتحة لتقرأها لروح جدتك ..

فهز كتفيه ومضى .. !

كان يعاملنى نفس المعاملة التى عاملته بهـــا .. نفس الاسلوب الذى أخذته به ..

والبادى أظلم ..

وشعرت بشىء من أسف ورحت أتساءل عن سر عزوفه عن شىء طلبـــه بالذات .. وأدركت اننى اخترت أسوأ الأوقات لتعليمه .. اخترت لحظات طيبة كانت نفسه فيها مهيأة للمرح واللعب مع أقرانه .. كنت أريد أن أنزع عنه لذة اللعب لأعلمه شيئا طلبه هو وقت ما كانت نفسه مهيأة له .. وأنا الذى أضعت الفرصة . ولو اننى أرغمته فى هذه اللحظات على ترك الكرة ووجوب حفظ السورة ، لكرهنى ، وكره روح التدين ، وكره كل شىء ..

فسكت على مضض ورحت أنتظر فرصة أخرى مواتية ، ذلك أن من الحكمة أن أختـــار الشيء فى ابانه وفرصته المناسبة ، فأنت لا تستطيع أن تزرع القطن فى موسم القمح ، فلكل شيء وقته وميعاده . ولو عكسنا الآية لما جنينا غير الخسران .. ولعل هذا هو سر فشل أكثر العائلات فى أسلوب تربية الاطفال لعدم الالمام بأصول هذا الفن السهل البسيط اللذيذ .

وجاء موسم الشتاء،وحلت أيام برد قارص وريح لافح وأشارت امرأتى على باحضار ملابس ثقيلة .. قلت : حاضر باكر ان شاء الله .

فلوت وجهها ذلك لأن كلمة باكر لا تعجبها .. انها تريد له المـــلابس اليوم . بل الساعة . بل اللحظة . بل نضرب الارض ونحن فى موقفنا ذاك ونستدعى أحد الجان ليستحضر فورا الملابس الثقيلة .

أما تعليم الطفل سور الفاتحة ، فله وقت آخر .. وهذا الوقت قد تمر أيام وشهور ونحن لا نذكره ..

اننا نعنى بتربية أجساد أولادنا أحسن تربية ولكننا نهمل فى اعـداد أرواحهم كل الاهمال .

وكلمة تربية الابناء أصبحت مقرونة فى ذهن الآباء والامهات بالسعى لهم فى الارزاق التى تكفل لهم المأكل والمشرب والملبس ولكنها قد لا تعنى على الاطلاق تهذيب أرواحهم وتعليمهم والجلوس اليهم ساعة كل يوم لتغذية نفوسهم بغذاء من الدين والاخلاق ..

ومن هنا تنشأ الاسس الاصيلة التى تعمل على انحـــراف أولادنا حين يشبون غـــير محصنين التحصين الذى يقيهم شرور البيئات الفاســـدة والتوجيهات الضالة .. ولما كان أكثر الناس على هـــذه الشاكلة أى أنهم لا يعنون بالثقافة الروحية لابنائهم ولا يولونها بعض ما يولون التربيـــة الجسدية من اهتمام ولا يقدرون مسئولية هذه الاعضاء. وما يترتب على ذلك من خطر بعيد المدى فكأنما هناك شبه تضافر غير مباشر ولا مقصود على المساهمة فى افساد البيئة أخلاقيا .

وما أظن أن الانسان مهما بلغ اهتمامه بالاخلاق اهتماما شخصيا سوف يعفيه اهتمامه بثقافة نفسه من مسئوليته أمام ربه وضميره والمجتمع العام عن تغاضيه عن هذا الواجب العظيم .

ان الابناء الذين يجانبون طـــريق الاستقامة انمـــا يكون مرد ذلك الى أسباب أهمها طبيعة الحياة التى تحياها الاسرة التى يشب فيها ومقـــدار حرص أفرادها على أصول الشرف والاخلاق . ذلك أن أولادنا يرثون عنـــا صفاتنا بالوراثة من حيث الاستعداد الخلقى أو بالايحاء والتقليد فى التربية الفاسدة .. ومن المؤكد أن الطفل الذى يشب وهو يرى والديه يكثران من الكذب لن يكون صادقا على الاطلاق .

كما ان الاسر التى تستصحب بنيها الى الروايات السينمائية المثيرة عليها أن توقن بأن هؤلاء الاطفال سيشبون مقلدين تماما لما وقر فى أذهانهم من هذه المشاهد . والآباء الذين لا يتحرجون من ذكر المواضيع المكشوفة أمام صغارهم عليهم أن ينتظروا أن يشب هؤلاء غير متحرجين من المزاح البذىء وهواية الكتب الماجنة والتندر بفحش الكلام ، فنحن نرى أننا كيفما نكون فسينشأ أولادنا على غرارنا ولذلك فانه من المهم أن يتعود الآباء مصادقة أولادهم ..

ولا نعنى بالصداقة مجرد مرافقتهم فى النزهات ، وانما نعنى المشاركة العاطفية الكاملة ، كما لو كانا صديقين متفاهمين ، فان هذه الصداقة وقاية من كثير من الشرور ، اذ سيتعود أبناؤنا مكاشفتنا بما يدور فى أذهانهم ليتلقوا منا الاجوبة النافعة الصحيحة،ولكى ندرك عظم الفائدة التى تترتب على هذا الاتجاه علينا أن نتصور ما يناله أحدنا من الخير حين يكون صديقا لعالم كبير أو حكيم جليل حين يلازمه فى غدواته وروحاته فيأخذ عنه علمه وحكمته ..

لذلك يخطىء أولئك الآباء الذين يظنون أنه من الخير اتخاذ ستار من الوقار ليقوم حجابا بينهم وبين بنيهم لأننا بذلك سندفعهم الى التماس المعرفة من الخدم أو الطرقات كما أننا سنحرمهم من أن نلقنهم ثمار تجاربنا .

وانه لمن المؤلم أن ندع الصغير يتعرض لنفس المتاعب التى مرت بنا بينما يقتضينا الواجب أن نلقن أبناءنا تجاربنا ليشقوا طريقهم من حيث انتهينا دون أن يعودوا القهقرى لمعاناة الاخطاء التى مرت بنا قبل أن نحصل على هذه النتائج ، ان أمانة الحياة التى نحياها هى كأمانة حامل الشعلة عليه أن يحافظ عليها حتى يسلمها لمن يليه دون أن يعود الثانى ليبدأ من حيث بدأ الأول شوطه ..

ان مثلنا فى الحياة الدنيا كمثل السابحين فى نهر قد بدأوا من شط متجهين الى الشط الآخر ، فعلينا أن نعلم أبناءنا أصول السباحة السليمة فى نهر الحياة حتى لا يضلوا الطريق أو يهووا الى القاع .

وحين نمسك بالصحف لنقرأ فى أسف كبير انحراف بعض المراهقين ، علينا أن نذكر اننا ساهمنا ، ان عامدين أو مقصرين ، فى صنع هذه النتيجة ..